جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 43 / آذار 2025

تاريخ المناظرة والجدل
(دراسة في النشأة والتطور)

History of debate and controversy
(study in genesis and development)

إبراهيم عبد الجليل خرنوب جاسم
Ibrahim Abdul Jalil Kharnoub Jassim

أ.د. حميد جاسم عبود عباس الغرابي
Prof. Dr. Hamid Jassim Aboud Abbas Al-Ghurabi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: مناظرة، جدل، تاريخ، جدل قرآني.

key words: debate, controversy, History, Quranic controversy.

الملخص:

يعد الجدل والنزوع إلى الحوار والمخاصمة في الفكر أمراً فطرياً عند الإنسان، مركوزاً في أعماق شخصيته التي خلق عليها، وقد يعسر على الباحث محاولة معرفة البدايات الأولى للجدل بمعناه العلمي والأكاديمي، إلا أنَّ المتسالم عليه عند الباحثين أنَّ اليونانيين كانت لهم الريادة والتمكن في هذا الفن، وكتبهم ومؤلفاتهم هي أقدم ما وصل إلينا من التراث الإنساني المكتوب.

وقد جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتلمس أبرز المحطات التاريخية التي مرَّ بها الجدل الإنساني منذ بداياته وحتَّى ازدهاره.

Abstract:

Controversy and the tendency to dialogue and contention in thought is an innate matter for man, focused in the depths of his personality on which he was created. Their books and writings are the oldest written human heritage that has reached us.

This study came as an attempt to touch on the most prominent historical stations that the human debate passed through from its beginnings until its flourishing.

مقدمة

حبى الله ﷻ الإنسان بنعمة العقل والتفكير، ولكونه مفكراً متكلماً فهو محتاج إلى الإعراب عما يجول في ذهنه من أفكار وتساؤلات، وفي الوقت نفسه أنْ يعرف مراد الآخرين منْ بني نوعه، وطريقة تفكيرهم[1]، وهذا الأمر لم يبذل الإنسان فيه جهداً كبيراً، فالباري تعالى تكفَّل بإعداد الإنسان وتهيئته للإفصاح عما بداخله وتلقي ما يبديه الآخرون من مفاهيم ومعاني[2]، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[سورة الرحمن: 1- 4].

ولا يتم له هذا البيان إلا بترجمان فؤاده وهو اللسان، فأخذ الإنسان يتفاعل مع محيطه الإنساني، يتأثر به ويؤثر فيه، سلباً وإيجاباً، وقد أدَّى هذا التفاعل الفكري إلى الدخول في حالة من الصراع والجدال ومحاولة إثبات وجهات النظر، فتظهر عنده نزعة الجدل، والمناقشة، والمحاجّة، ومحاولة الإثبات، والبرهنة، والمعارضة... الخ.

المبحث الأول:

النشأة وتَطوُّر الفكر الجدلي إلى فترة ما قبل الإسلام:

المطلب الأول:

فطرية الجدل وبداية تكوُّن الآراء والأفكار:

الجدل حالة فطريَّة وقهريةٌ عند الإنسان، قد يدفع إليها دفعاً، ولا يمكنه السيطرة عليها أو منع نفسه عنها، ولو أراد تكلُّف هذا الأمر، فإنَّه يبقى خلافاً لطبعه الذي يجره جَرَّاً لاقتحام هذا الميدان[3]، بل أكثر من ذلك، فإنَّ القرآن الكريم يصوِّر لنا أنَّ الإنسان مجادل حتى في المحشر ويوم العرض[4]، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[سورة النحل: 111].

ولا يكون الجدل إلا مع الاختلاف، والاختلاف سُنَّة إلهية، وقانون كوني، سنَّه الله ﷻ ليكون مشيئةً تلازم الإنسان طيلة حياته. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[سورة هود: 118].

وعليه فالجدل قديم قِدَم الإنسان، ولعلّنا نعجز عن تحديد زمن دقيق لبدايات الجدل الأولى، ولكن يمكننا القول إنَّ التوسع المدني والحضري والعمراني، وتعقُّد الحياة وتشابكها، جعل الناس أكثر قرباً، وأعطى فرصةً أكبر للاختلاط والاحتكاك، وتلاقح الأفكار والرؤى، وهذا الأمر ساعد على تكوين اتجاهات مختلفة تلتقي مع بعضها أحياناً وتختلف في أحيان أخر، فتوسَّعت الفجوات الفكرية بين الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وبلدانهم وأوطانهم، وساعدت المدنية والحضارة على تهيئة بيئةً مناسبة للاختلاف، وللخلاف فيما بعد[5]، وتكوين منهج عقلاني للاختلاف يتبع الأسلوب الترتيبي في عرض المسالة والمناقشة فيها ليكون الحوارُ حواراً علمياً هادفاً.

المطلب الثاني:

اليونان وفن المناظرة والجدل:

لم تكن العلوم العقلية مختصة بأُمَّةٍ من الأمم، أو حكراً على شعب من الشعوب؛ لأنَّ الإنسان بطبيعته كائن مفكِّر، فالتفكير سِمَةٌ إنسانيةٌ لدى كُلِّ الأُمم والملل، يقول ابن خلدون(ت 808هـ): (وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة للإنسان – من حيث أنَّه ذو فكر– فهي غير مُختصَّةٍ بمِلَّةٍ، بل يُوجَّه النظر فيها لأهل الملل كُلِّهم، ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليقة، وتسمى هذهِ العلوم علوم الفلسفة والحكمة)[6]، إلَّا أنَّ الجدل والمناظرة كعلم له قواعد وأُصول كان في دولة اليونان، وكان له من التعظيم والاحترام والتبجيل عند الأساتذة والتلاميذ وسائر الطبقة المتعلِّمة شأن كبير ومكانةٌ مرموقةٌ، لدرجة أنَّ كلمة (سوفيست) اشتقت من إحدى أسماء أرباب اليونان، وهي (صوفية) ربَّة الحكمة عندهم، والمسمى بهذا الاسم يكون قد ناله إلهام وحكمة هذه الربَّة[7].

وفكرة الاقتران بين المخلوق والربِّ تعطينا صورة للكيفية التي كان هؤلاء القوم يترفعون بها على عامَّة الناس، ما دفع (فيثاغورس)[8] إلى رفض هذا الأمر، واستكبار هذه الدعوى، ولذا لم ينسب نفسه إلى الحكمة، بل اعتبر نفسه مُحبَّاً لها، فَسمَّى نفسه (فيلسوفاً) أي: مُحبَّاً للحكمة.

وانتشرت في ذلك العصر المجادلات الكلامية وفنُّ الحجاج والخطابة، وأخذ الناس يرسلون أبناءهم إلى أشهر المُعلِّمين، لتعلم الجدل وصياغة البراهين، ليعرفوا كيفية الانتصار على خصومهم منْ خلال الفنِّ القولي والتدريب على الجدل وفنِّ المقال بالحُجَّة والإقناع، وإنْ لم يكن للحُجَّة رصيدٌ من الحقيقة؛ لأنَّ الجدلي اليوناني لم يكن غرضه الأصلي إظهار الحق، بل الغلبة في ميدان المبارزة القوليَّة والمجادلة[9].

ومن طريف ما ينقل عن تَفوُّق اليونان في فنِّ المناظرة والجدل: (أنَّ أستاذاً اتَّفق مع تلميذٍ له أنْ يُخرِّجَهُ للدفاع في القضاء والمنازعات العامة خلال سنتين بأجرٍ مُتَّفقٍ عليه، فلمَّا انتهت السنتان، طلب الأُستاذ أجره، فقال التلميذ: بَلْ أُناقشك في هذا الأجر، هل تستحقُّه بعملك أو تطلبه بغير حقٍّ..؟ فإنْ أقنعتك بأنَّك لا تستحقُّه، فلا حقَّ لك فيه باعترافك، وسكوتك حجَّةٌ على هذا الاعتراف، وإنْ لمْ أُقنعك فلا حقَّ لك فيه؛ لأنَّك لمْ تعلّمني

كيف أُقيم البرهان على دعواي.؟؟ وكان جواب الأستاذ كمثال تلميذه، مثلاً للبرهان المطلوب في هذه الصناعة، فقال له: إنَّني أقبل أنْ أُناقشك ولكنْ على غير النتيجة التي خَلُصْتَ إليها، أناقشك حَقِّي فتعطيه مرَّةً إذا ثَبُتَ عليك، وتعطيه مرَّتين إذا لم أثبته أمامك؛ لأنَّني علَّمت تلميذاً ما يغلب به أستاذه في صناعة البرهان)[10].

فكانت هذه هي طريقة القوم في التعاطي مع الفنِّ القولي والبرهان، ولم يكن قصدهم إظهار الحقيقة وإبرازها، حتى أنَّهم فصلوا بين البرهان والحقيقة وسَمُّوا الحُجَّة بـ(الحُجَّة الخطابية)؛ لأنَّهم لا يشترطون فيها أنْ تدلَّ على الحقيقة[11]، فكان كلامهم مزخرف، وعباراتهم منمَّقة، وهذا الأُسلوب في الخطاب هو الأُسلوب النافع – بحسب تقديرهم–، أمَّا البحث وراء الحقيقة فعبث باطل[12].

ويبدو أنَّ أهل (أثينا) كانوا يختلفون عن عامة اليونانيين؛ لأنَّهم كانوا يعدُّون الجدل والمناظرة فنَّاً رفيعاً، وهو عندهم: فنُّ البحث عن الحقِّ، بينما عند سائر اليونانيين فالجدل هو: فنُّ التحاور والتخاطب بين الناس[13]،ولكنَّ هذا الرأي قد لا يبدو صائباً بالمطلق، فليس كلُّ أثيني له هذا المنهج في الحوار والمناظرة والجدل، الذي يكون هدفهُ البحث عن الحقائق وتقريرها، وإنَّما هو أُسلوب بعض فلاسفتهم المبرَّزين وخصوصاً (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، الذين أخذوا على عاتقهم التَصَدِّي للحركة (السفسطائية)[14]، التي ألبست على شعب (أثينا) الحقائق، وغيَّرت الكثير من معتقداته، وغلَّفت الباطل بغلاف الحقِّ، والعكس صحيح[15].

وكان لسقراط أُسلوبه المتميز في الحوار، فقد اعتمد منهجه على طرح الأسئلة والإجابة عنها، ثم يعود لمناقشة تلك الإجابات بالأسئلة كذلك، فهو يستهدف في مناقشاته الوصول إلى ثلاث نتائج:

أولاً– إيصال المناظر والمحاور في الطرف الآخر إلى نتيجة يكتشفها بنفسه، وهي إنَّه كان على خطأ.

ثانياً– إيصال المناظر والمحاور في الطرف الآخر إلى نتيجة ثانية، وهي أنَّه قد ضيّع الحقيقة فهو جاهل بها، ولا يعرفها، فهو محتاج إلى سقراط ليبيّنها له.

ثالثاً– الأسئلة التي توصله إلى الصواب التي يكتشفها بنفسه[16].

وأخيراً فقد كان لأرسطو الفضل الكبير في وضع القواعد المنطقيَّة والجدلية وإخراجها من القوَّة إلى الفعل، وتقديمها للمتعلِّمين لتكون لهم ميزاناً يلجؤون إليه عند الشكِّ في حقيقةٍ ما، أو الاشتباه بين الصواب والخطأ[17].

المطلب الثالث:

المناظرة والجدل عند العرب قبل الإسلام:

لا تبدو أصول وقواعد المناظرة والجدل واضحة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام، وإنْ وجدت فهي ليست بالمعنى العلمي الذي يفهم منه أنَّه جدلٌ علميٌ، ولا يعني ذلك أنَّ العرب في الجاهلية لم يعرفوا المناظرات والجدل، أو لم يتعاطوها في كلامهم وحواراتهم، ولو على طريقتهم الفطريَّة، لأنَّنا قلنا – في كلام سابق – أنَّ الجدل فطري، والناس جدليون بطبعهم، بل إنَّ الصبيان يتعاملون بالأساليب الجدلية في لهوهم ولعبهم، فنراهم يتحاجّون فيما بينهم، ويستخدمون أسلوب المعارضة، وإبطال حُجَّة بعضهم الآخر، يقول نجم الدين الطوفي(ت716هـ)[18]: (والصبيان ببدائههم يدركون أنَّ المعارضة تبطل الحُجَّة، وأنَّها بعد المعارضة ترجيح بلا مرجح، وأنَّه باطل، فإذا افتخر أحدهم على باقيهم بطفر نهرٍ، أو وثوب جدارٍ، أو نحو ذلك، اجتهدوا على أنْ

يفعلوا مثل فعله، فإنْ صحَّ لهم علموا أنَّ افتخاره عليهم قد بطل، وإنَّه صار ترجيحاً بلا مُرجِّح، وأنَّ ذلك باطل، وأشباه ذلك مما يقع من العامة كثيراً)[19].

وعليه فالعرب في الجاهلية عرفوا الجدل الفطريَّ البديهي، واستعملوه في حواراتهم ومناظراتهم ومفاخراتهم، واستخدموه سلاحاً للردِّ، فكانت كُلُّ مِلَّةٍ وديانةٍ تدَّعِي الحقَّ لنفسها وترمي أُختها بالباطل، مستخدمين مختلف الأساليب الجدليَّة، والمغالطات، يقول أحد الباحثين وهو يصف حالة الصراع الجدليّ عند العرب في الجاهلية: (إنَّنا نرى حشداً هائلاً منَ الديانات والنِحَل، مثل اليهوديَّة والنصرانيَّة والمجوسيَّة والزرادشتيَّة...كلُّها تدَّعِي الحقَّ، وتدفع الآخرين بالباطل، وتستعمل أسلحة الجدل ومنطق العقل، ومغالطة الفكر في إثبات حَقِّها وإبطال زيف ما عداها)[20]، ولنأخذ مثلاً لجدل الجاهلية يُقرِّب المعنى، فقد ذكر ابن هشام (ت 218هـ) في سيرته مجادلةً وقعت بين يهوديٍ وجماعةٍ من المشركين، وكيف أنَّه كان ينصحهم، ويحاول أنْ يرشدهم إلى معرفة الله ﷻ والإيمان به، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، فقالوا له: (ويحك يا فلان!! أوَ ترى هذا كائناً، أنَّ الناس يبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنةٌ ونار، يُجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به... فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوث منْ نحو هذه البلاد – وأشار بيده إلى مكّة واليمن– ... فوالله ما ذهب الليل والنَّهار حتَّى بعث الله ﷻ محمَّداً رسولهُ ﷺ وهو حيٌ بين أظهرنا، فآمنّا به، وكفر به بغياً وحسداً ... فقلنا له: ويحك يا فلان!! ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به)[21].

وعُرف عند العرب كذلك شكلٌ من الحوار يقترب منَ الجدل، بل هو جدلٌ ولكنْ بأُسلوب المنافرة والمفاخرة: وهي المباهاة في الجمع المحتشد بفضائل أُصولهم القبليَّة، وعُلُوِّ أنسابهم ومنازلهم وأخلاقهم، وكريم شيمهم وفعالهم، وهو عرفٌ مجتمعيٌ لا غنى لهم عنه، وضروريٌ لكيانهم وبنائهم العشائري والقبلي، حيث يُنصبُ للمتنافِرَيْنِ حَكَماً يرضَيَانِ به، ويبدآن بالكلام أمامه، ويتفاخران بشرفهما وانتسابهما لقبيلتهما، وإظهار مثالب الخصوم ومساوئهم وعيوبهم، يقول أحد الباحثين: (وكان الحوار في المنافرة يبدو أكثرَ حيويَّةً وتنوُّعاً، وأقصرَ منْ خطبة إصلاح ذات البين، كما أن العراك يظهر أكثرَ عنفاً؛ كأن الخصمين يتصارعان ويتجادلان فيها بالقول بما هو أحَدُّ من وقع السيف، والمعاني تبدو فيها مباشرةً صريحةً... فإنّ كلاً منهما يصدر عن غضبٍ وحقدٍ، وتنزع به الانفعالات نزوعاً، ولا تدع للعقل والرويَّة إليهِ سبيلاً)[22].

ولا غرابة في مقدرة العرب على الحوار والجدل والمناظرة، وإنْ لم تكنْ عندهم هذه العلوم مدوَّنة ومكتوبة، أو تُكتسب بالتعليم في المدارس والمعاهد؛ لأنَّ الفنَّ الخطابي كانَ مزدهراً عندهم، ولم تكن تنقصهم أو تعوزهم الحرية للتعبير عمَّا يجول في أذهانهم، فضلاً عن ذلك كثرة المنازعات والخصومات التي حفّزت عندهم هذه المقدرة وصقلتها فأصبح الكلام ينساب على ألسنتهم انسياباً من غير تكلُّف ولا جهد، يقول الجاحظ (ت 255هـ): (فما هو إلا أنْ يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالاً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيِّده على نفسه، ولا يُدرِّسه أحداً من وِلْدِه، وكانوا أُميِّين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون، وكانَ الكلام الجيِّد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحدٍ في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر منْ أنْ يفتقروا إلى تَحفُّظٍ، ويحتاجون إلى تدارس،

وليس هم كمَنْ حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كانَ قبْله، فلمْ يحفظوا إلَّا ما عَلِقَ بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتَّصَل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد)[23].

المبحث الثاني:

المناظرة والجدل الإسلامي:

المطلب الأول:

المناظرة والجدل في القرآن الكريم:

بعث الله ﷻ نبيه الكريم محمداً ﷺ إلى الناس كافَّة، ليدعوهم إلى عبادته ﷻ ولا يشركوا معه أحداً منْ خلقه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ: 28]، كما كانت دعوة إخوته مِنَ الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة النحل: 36].

ولأنّ الجزيرة العربية كانت زاخرة بمختلف الاتجاهات العقديَّة و الدينيَّة، ودعوة أصحابها إلى التغيير لم تكن بالأمر الهيّن والسهل، فقد واجه رسول الله ﷺ هذه الانحرافات الفكريَّة والعقدية بمختلف تياراتها وتوجُّهاتها بالقرآن الكريم وأدلَّته وبراهينه، ووقوع الجدل المناظرة كان أمراً لابدَّ منه.

تمثَّل الجدل القرآني باتجاهين:

الاتجاه الأول– المناظرات والمجادلات التي جاءت في القرآن الكريم على نحو المحاورات والمناظرات مستوعبة لبعض أساليب الجدل والبرهان بين الأنبياء ﷺ ومناوئيهم، كما في مناظرة إبراهيم ﷺ للنمرود – طاغية عصره – قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 258][24]، أو الحجج والأدلَّة التي ساقها القرآن الكريم التي لم تأخذ شكل المناظرة المألوف، بل سيقت ضمن الآيات التي تكفَّلت بإثارة العقل الإنساني وتحريكه باتّجاه هدم الفكر الانحرافي وتثبيت عقيدة الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۞ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة النمل: 60-64][25].

الاتجاه الثاني- المناظرات والمجادلات التي خاضها رسول الله ﷺ بنفسه مع مختلف الأديان والطوائف والملل، التي تناولت إشكالات عقديَّة وتشريعيَّة، من قبيل بشرية النبي ﷺ، أو مسألة تحويل القبلة، أو النسخ، وغيرها من الموضوعات، فتنوعت مناظراته ﷺ للخصوم بين:

أ- مُلحدٍ لا يؤمن بوجود خالق للموجودات ويرى أنَّ الدهر له الحاكمية في الإفناء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية: 24].

ب- أو مشرك يجعل مع الله ﷻ إلهاً آخر، يصفه بما يصف الله ﷻ ، ويجعل له ما لله ﷻ من قابلية الخلق والتدبير، فأجابهم رسول الله ﷺ بما علَّمَه رَبُّه ﷻ في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 42]، أي: لو كان معه ما تزعمون من آلهة، لطلبتم طريقاً يُقرِّبكم إلى مالك هذا العرش، والتمستم الزلفة عنده لعُلُوّه وعظمته، أو - في تفسيرٍ آخر للآية الشريفة- لتصارعوا وتنافسوا وتنازعوا على الملك والسيادة[26].

ج- أو منْ أهل الكتاب الذينَ حَرَّفوا دينهم وكتبهم، ونسبوا إلى الله ﷻ ما لا يليق، كقوله تعالى على لسان اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة: 30]، ورفضوا الإيمان والتَّصديق برسالته ﷺ حسداً له، وبغضاً بالقرآن الكريم.

الناس ومستوياتهم في الإدراك:

أصل الإيمان بالخالق ﷻ فطري، ولكنَّ معرفة ذلك الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله وطريق الوصول إليه ليس كذلك، وهنا تكمن أهمية الرسالة والإرسال، فالرُسل هم السبيل الوحيد للمعرفة بهذا الخالق العظيم، وأسماءه وصفاته وأفعاله، ولما كانت عقول الناس وإدراكاتهم متفاوتة، فإنَّ أساليب الدعوة كانت متفاوتة كذلك، فالأنبياء ﷺ سلكوا طرقاً متعددةً لإقناع الناس ومحاولة هدايتهم وإرشادهم؛ لأنَّ ما يصلح كدليل عند البعض قد لا يكون كذلك عند بعضهم الآخر، وما يكون طريقاً مختصرا نافعاً عند بعضهم، ليس بالضرورة أنْ يكون كذلك بالنسبة لبعضهم الآخر؛ فقد يحتاج بعض الناس إلى دليل أكثر تفصيلاً وأكثر إقناعاً.

ولفهم مستويات الإدراك عند الناس، ومعرفة ما يصلح لهم من الأدلة كلٌ بحسب معرفته، يمكن أنْ نصنفهم إلى فئات ثلاث:

أ- فئة تتَّخذ دليل القياس والبرهان طريقاً للتصديق والاعتقاد، ولا تقبل منَ الأدلَّة والبراهين إلا ما كانَ خاضعاً لميزان العقل والمنطق، وهذه الفئة منَ الناس أفنت من حياتها سنوات في الدراسة والبحث حتَّى وصلت إلى

هذه القناعات، التي شكلت شخصياتهم ورتَّبَتْ عقولهم وطريقة تفكيرهم على هذا النحو، وهم – بكل تأكيد– فئة قليلة؛ لأنَّ الناس ليسوا كلُّهم بهذا الاستعداد والمزاج الذي يسمح لهم بسلوك هذا الطريق، فالسواد الأعظم منْهم منصرف إلى العمل وطلب القوت وتحصيل كفايته وكفاية عياله منَ الرزق في زراعةٍ أو صناعةٍ أو الاحتراف ضِمنَ أيّ مجال من مجالات الحياة، فالفئة الأُولى ميّالة إلى تحصيل المعرفة عنْ طريق الدليل والبرهان، ولعلَّ هؤلاء هم منْ أمرَ الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾ [سورة النحل: 125].

ب– وفئة تتبنَّى فكراً معيناً أو مذهباً خاصاً، فلا ترى الخير إلا فيه، ولا ترى السعادة أو النجاة إلا من خلاله، فترى المناظر منْهم يجادل منْ أجل مذهبه، ويستقتل في سبيل نصرته، ويتعصب له أيّما تعصب، إلى حدِّ أنْ يُنكر أوضح الواضحات، ولا يسلِّم بأبسط المسلمات، ويكابر ويعاند حتَّى مع قيام الدليل على بطلان ما يذهب إليه، يقول ﷻ في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: 170]، وهؤلاء وإنْ كانوا يُشكِّلون فئةً أكبر منَ الفئة الأولى، إلَّا أنَّهم لا يمثلون أكثريَّة الناس، وهؤلاء هم الذين أمرنا الله ﷻ أنْ نجادلهم ولكن بالَّتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 46].

ج– وفئة تُمثِّل السواد الأعظم منَ الناس، وهؤلاء لا يُخاطَبون بما يُخاطَب به أصحاب التفكير العلمي، ولا هم من الفئة الثانية التي نَتَّبِع معها طرق الجدل والإفحام والإلزام، بل إنَّ الفطرة هي السبيل إليهم، وتحريك دفائن نفوسهم الميّالة إلى الحقِّ هي الوسيلة الناجعة في هدايتهم، والأُسلوب الخطابي في الاقناع هو النافع هنا[27].

أساليب المناظرة والجدل في القرآن الكريم:

لمَّا كانت مستويات الفهم والإدراك متفاوتة عند الناس – كما بيّنا – فلابدَّ لمَنْ يريد مخاطبتهم وهدايتهم أنْ يتحدَّث إليهم على وفق مستويات مختلفة من الخطاب، لتحقيق الفائدة المَرجُوّة، وهي وصوله إلى جميع الناس، وليس إلى فئةٍ دون أُخرى، لذلك جاء القرآن الكريم –ككتاب هدايةٍ وإصلاح– بأساليب مختلفة، وطرق متنوّعةٍ قد تكون منْ الطرق التي يعرفها الناس ويألفونها، أو من الطرق والأساليب التي تَميَّز بها القرآن الكريم وتفوق بها على أُسلوب الاستدلال البشري، وإليك بعضاً منها:

أ– أُسلوب السبر والتقسيم:

من أساليب المناظرة والجدل التي ذُكرت للقرآن الكريم هي طريقة السبر والتقسيم، (والسبر في اللغة هو الامتحان، وتقريره: أنْ يحصر الأوصاف التي توجد في واقعة الحكم وتصلح لأنْ تكون العلَّة واحداً منها، ويختبرها وصفاً بعد وصف على ضوء الشروط الواجب توافرها في العلَّة، وأنواع الاعتبار الذي تعتبر به، وبواسطة هذا

الاختبار تُستبعد الأوصاف التي لا يصحُّ أنْ تكون علَّةً، ويُستبقى ما يَصحُّ أنْ تكون عِلَّة، وبهذا الاستبعاد وهذا الاستبقاء يتوصل إلى الحكم بأنَّ هذا الوصف هو العِلَّة)[28].

أما التقسيم أو القسمة فهي – كما ذكر في علم المنطق– نوعان:

1. أنْ تكون القسمة دائرةً بين النفي والإثبات، وهي المعبَّرُ عنها بـ(القسمة الثنائية)، بمعنى أنْ تكون القسمة حاصرةً للنقيضين (نفياً وإثباتاً)[29]، وهذه الطريقة في التقسيم تفيد اليقين؛ لأنَّها تحصر العِلّة في أمرين متناقضين، فإذا صدق طرف الإثبات بطل طرف النفي، والعكس صحيح، فإذا قلنا (العالِمُ إما فقيه أو لا) نكون قد حصرنا عنوان العالِمِ بأمرين لا ثالث لهما.
2. أو تكون القسمة استقرائية: وهي (التي لا يمنع العقل من فرض آخر، وإنَّما تذكر الأقسام الواقعة التي عُلِمت بالاستقراء والتتبع...)[30]، وهذه الطريقة في القسمة لا تفيد اليقين وإنَّما الظنَّ ولو كان بدرجةٍ كبيرة.

وذكر السيوطي أنَّ هذا الأُسلوب منَ الجدل ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: 142– 144]، فعندما حرّم الكفّار ذكور الأنعام تارةً وإناثها تارةً أخرى، احتجَّ عليهم الله ﷻ في القرآن الكريم، مطالباً إيَّاهم بذكر علّةِ هذا التحريم، فأمَّا أنْ تكون علّته من جهة الذكورة فهم يحلُّونها مرَّةً و ويحرّمونها أُخرى، أو أنْ تكون العلَّة من جهة الأُنوثة والإشكال نفسه لم يتغير، أو أنْ يكون سبب التحريم ما اشتملت عليه أرحام الأنعام لكليهما، أو أنَّ العِلّة غير مُدْرَكَة وأنَّ التحريم جاء تعبُّداً بدليلٍ عن الله ﷻ من خلال الوحي أو الرسول أو التكليم[31]، فالآيات الشريفة حصرت وجوه التحريم المحتملة، وكُلُّها لا تستند إلى دليل، وعليه فهي باطلة، والإبطال كما نرى جاء عنْ طريق احصاء الفروض المحتملة وإسقاطها جميعاً عن الاعتبار واحداً بعد الآخر[32].

ب– أسلوب الاستفهام التقريري:

وهو أسلوب جدلي حجاجي ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وصيغته أنْ يأتي الاستفهام لأخذ الإقرار والاعتراف من المخاطب بالنفي أو الإثبات، وتستند هذه الصيغة في المناظرة والجدل إلى مقدمات واضحة وجَليَّة لا يمكن جحدها أو إنكارها، ولمَّا كان القرآن الكريم في استدلالاته لا يريد إلَّا الإقناع بالحَقّ والهداية والإرشاد، عُدَّتْ هذه الطريقة منْ أفضل الطرق والأساليب في الجدل القرآني[33]، ومن أمثلته التي جاءت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح: 1]، أي: أن الله ﷻ أثبت وقرَّر الشرح في صدر النبي ﷺ ليُقِرَّ بذلك ويشكر الله ﷻ على هذه النعمة، وقوله تعالى على لسان فرعون عند مجادلته لموسى ﷺ: ﴿قَالَ أَلَمْ

نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: 18-19]، ففرعون أرادَ أخْذَ الإقرار منْ موسى ﷺ حتَّى يكون مذنباً مداناً عندهم؛ لأنَّه كانَ ربيبهم، فكيف يفعل فعلته وهو منهم!؟ إلَّا أنْ يكون قد انقلب عليهم وهذا كافٍ ليكون دليل إدانةٍ له، وقوله تعالى على لسان عبدة الأصنام من قوم إبراهيم ﷺ: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء: 62]، فاستفهامهم كانَ لغرض أخذ الإقرار مِنْ إبراهيم ﷺ وإدانته وإيقاع العقوبة عليه، إلَّا أنَّ إبراهيم ﷺ اغتنم الفرصة، وحَوَّل الجواب إلى طريقٍ آخر أدانهم به، وأظهر سفه عقولهم فيما يعبدون.

ج- القياس المضمر:

يستعمل الناس في محاوراتهم الأقيسة المنطقيَّة التي تتألف منْ مقدماتٍ ونتيجة، وهم في أغلب الأحيان غير ملتفتين إلى ذلك، فهم منطقيون من دون التفات، ومع كونهم منطقيين بالفطرة فقد لا يلتزمون بالترتيب الصوري للقياس المنطقي، بحذف مُقدمَّة مِنَ المُقدِّمات، أو حذف النتيجة، ويبقى الكلام سليماً ومستقيماً، والسامع يفهم مراد المُتَكَلِّم، فالحذف جاء بسبب وضوح الكلام، أو بالاعتماد على فهم السامع وذكائه، الذي من خلاله يستطيع ربط المقدمات بالنتيجة ولو لم تذكر، أو أنَّ المتكلم يُقدِّم النتيجة قبل ذكر المقدمات.

فالقياس الذي نحذف منه احدى مقدماته أو النتيجة يسمى بـ(القياس المضمر)[34]، وهذا المعنى بعينه ورد في القرآن الكريم، فمعنى القياس الإضماري فيه: هو أنْ تأتي الآية الشريفة بدليلٍ حُذِفَت إحدى مُقدِّماته أو بعضها، مع وجود ما يُنبئ ويشير إلى هذا الحذف، (فهو محذوف، معلوم، مطوي في الكلام، منويٌ فيه، وهذا الحذف يكثر في الاستدلال الخطابي)[35]، والقرآن الكريم حافلٌ بهذه الأقيسة التي حُذفت فيها بعض المُقدِّمات، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: 59]، فالآية الشريفة استبطنت مُقدِّمة محذوفة وهي: إذا كان خلق عيسى ﷺ بطريق الإعجاز جعله مُبرِّراً ليتَّخِذه النصارى إلهاً، فآدم ﷺ أولى منه ليكون إلهاً، لأنَّه خُلِقَ من غير أبٍ ولا أُم، والنصارى لم يَدَّعو أُلوهية آدم ﷺ، إذنْ فعيسى ليس بإله منْ باب الأولى، فالمقايسة بينَ آدم وعيسى ﷺ، والإضمار في أولويَّة ألوهية آدم ﷺ وتقدمها على ألوهية عيسى ﷺ بحسب مدعاهم[36]، وهذا الأُسلوب في الخطاب – كما هو واضح – يكسب الكلام جمالاً ورونقاً مضافاً إلى جمال الدَّليل وإحكامه وقوَّة سبكه بعباراتٍ غايةٍ في الدقة والإيجاز[37]، يقول الشيخ أبو زهرة: (وإنّ الحذف قد صيّر في الكلام طلاوة، وكسَّبه رونقاً، وجعل الجملة مثلاً مأثوراً يعطي الكلام حُجَّةً في الردِّ على النصارى، ويُذكِّر الجميع بأنَّ آدم والناس جميعاً ينتهون إليه، وإنَّما خُلق من تراب، فلا عزّة إلّا لله تعالى)[38].

د- الاستدلال بكذب النقيض أو صدقه:

مِنَ القواعد العقليَّة والمنطقيَّة التي يُذْعِنُ العقل بصدقها، أنَّ كُلَّ أمرين متناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، إذا تحققت فيهما شروط التناقض، وهذا أمرٌ يُدركُ ببديهة العقل[39]، والاستدلال بكذب النقيض أو صدقه والمسمى

أيضاً بـ(قياس الخلف) من الاستدلالات التي جاءت في القرآن الكريم، واستعملت في مناظرة ومجادلة المشركين وغيرهم، وصورته في الحِجاج القرآني مثلاً أنْ تعمد الآية الشريفة إلى إبطال عبادة الشرك فيثبت نقيضها، وهي التوحيد، فالعبادة للإله لا تخلو من أحد أمرين: أمَّا أنْ يكون الإله واحداً أو متعدِّداً، وتعدد الآلهة لازمه فساد الخلق، واختلال نظام الكون، وحيث أنَّ هذا الفساد لم يحصل وهو اللازم، والانتظام هو السائد، فيبطل الملزوم وهو التعدد، وببطلانه يثبت نقيضه وهو أنَّ الأُلوهيَّة ثابتةٌ لإلهٍ واحد، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، فالآية الكريمة أبطلتْ عبادة الشرك باستقامة الخلق وانضباطه وانتظامه، ولو كان في الكون خالق مع الله ﷻ لفسد هذا النظام، وحيث أنَّه لم يفسد فيبطل وجود الشريك[40].

هـ- الاستدلال بالمثال:

من صور الاستدلال القرآني في الجدل والمناظرة كذلك أسلوب الاستدلال بالتَّمثيل، وذلك بأنْ تُكوِّن الآية الشريفة مقايسةً بين الأمر المدَّعَى وأمرٍ آخر معروف ومُدْرَك عند المخاطب أو عند عامّة الناس -إنْ كان من البديهيات التي لا تحتاج إلى نظر وفكر- فمعظم الناس ليست لهم القدرة على تَصوُّر بعض الأمور إلَّا منْ خلال ربطها بصور أخرى تكون أكثر بساطةً واستقراراً في النفوس والأذهان، وهذه الطريقة في الاستدلال وردت في القرآن الكريم كثيراً، منها على سبيل المثال آيات البعث بعد الموت، فالكافرون استبعدوا أمر بعث الإنسانِ مرَّةً أخرى بعد أن غُيِّبَ بالموت، وتحلل جسده واضمحل، فجاءت الآيات الشريفة تُبيِّن أنّ أمر البعث ليس بأعجبِ منْ خلقكم أيُّها الناس، وذكرت الآيات أطوار تكوُّن الإنسان، وتقلُّبه في الخلق من حالٍ إلى حال، فمَنْ كانت هذه قدرته في بدء الخلق فهو على الإعادة أقدر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [سورة الحج: 5- 7]، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (ونرى من هذا عقد المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته التي لخَّصها الله ﷻ في قوله: ﴿.. كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾... وإنَّ هذا النسق البياني قَرَّب فيه البعيد، وسَهَّل على الأفهام دخوله، والله على كل شيء قدير)[41].

و- الاستدلال بالقصص القرآني:

تحتلُّ القصة في القرآن الكريم مكانةً مُتميِّزةً في ترسيخ أُصول العقائد والأحكام، لما حوته منْ أدلَّةٍ وبراهين جاءت على لسان الأنبياء والصالحين، فهي تُمثِّل مصدراً مُهمَّاً من مصادر الاستدلال، ولها تأثير كبير في نفوس الناس حتَّى من غير المسلمين، وكيف لا يكون ذلك ونحن نرى أنَّ أبطالها وشخوصها هم أُناس لهم مكانتهم

وقيمتهم المحترمة والمقدَّرة، فإذا جاء الدليل عن طريقهم فإنَّهم يكسبونه قوَّةً مضافةً إلى قوَّته الذاتية كدليل، (فتكون الحجّة قد أُقيمت عليهم منْ جهتين، منْ جهة الدَّليل في ذاته، ومن جهة أنَّ الذي قاله رجل محترمٌ في نظرهم، يَدَّعون هم أنَّهم أتباعه، فهم ملزمون بقوله، مأخوذون برأيه)[42]، ولنذكر لذلك مجادلةً منَ القرآن الكريم صَوَّرتْ إلزام الكافرين منَ النصارى، وإبطال دعواهم في اتِّخاذهم عيسى ﷺ إلهاً مع الله ﷻ وكيف أنَّ عيسى ﷺ تبرأ من شركهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة: 116- 118]، فتبرُؤ عيسى ﷺ أبلغ دليل للنصارى على بطلان دعواهم؛ لأنَّ البطلان صدر من شخص يقدّرونَه ويُجلُّونَه.

أو أنْ يأتيَ الدليل عنْ إبراهيم ﷺ الذي تقدّره العرب وتُجلُّه، وينتسب إليه قسمٌ كبيرٌ منْهم، فدليل إبراهيم ﷺ فضلاً عنْ قوَّته الذاتيَّة كدليل، فإنَّه صادر عنْ شخص يقرُّ بفضله المخالفون، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: ﴿أنظر إلى قِصَّة إبراهيم ﷺ مع أبيه، وقَصَّته مع قومه، ترى في القصتين أدلَّةً واضحةً وقويةً تثبت بطلان عبادة الأوثان؛ وذلك لأنَّ إبراهيم ﷺ كان شَرَفَ العرب، ومَحْتِدَهم الذي إليه ينتسبون، وقد كانوا يزعمون أنَّهم على مِلَّتِه، فإذا جاءهم الخبر عنْه بأنَّه كان مُوحِّداً، وسيق لهم ما كان يَحتجُّ به على قومه وأبيه، كانَ ذلك مُؤثراً أيّ تأثير في قلوبهم! ومنْ ذلك قوله تعالى حاكياً قول إبراهيم لأبيه ليُبيّن له بطلان عبادة الأوثان: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: 41- 43]، ألا ترى أنَّ الكلام مُتضمّن إبطال عبادة الأوثان على أبلغ وجه، إذْ بيَّن أنَّها لا تسمع ولا تبصر فهي دون الإنسان، وكيف يعبد الإنسان ما دونه؛ وفوق ذلك فالعبادة دعاء، وكيف يدعو الإنسان ما لا يسمع ولا يبصر)[43].

وقد ذُكِرَ للجدل القرآني أساليب أُخرى غير التي ذكرناها منها: مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدَّعاه، أو القول بالموجب، أو مجاراة الخصم لتبيين عثرته، أو الاستدلال بالأثر على وجود المؤثر...الخ[44].

المطلب الثاني:

المناظرة والجدل عند رسول الله ﷺ:

أولاً- مناظراته ومجادلاته ﷺ مع مشركي قريش والعرب:

كانت للعرب في الجاهلية عادات وتقاليد، منها الجيّد الذي أقرَّه الإسلام، ومنها السيء الذي رفضه ودعا لتغييره، وكان لهذه العادات لاسيما السيئة منها تأثيرٌ كبير في نفوسهم إلى درجةٍ لا يمكن مخالفتها أو التغاضي

عنها؛ لأنَّها استحكمت في نفوسهم وأصبحت عسيرةً وعصيةً على التبديل والتغيير، ويصوّر لنا القرآن الكريم مدى تأثير هذه الأعراف والعادات في نفوس العرب لدرجة تجعله يقف حائراً بين مجاراة الأعراف والعمل وفقاً لما تمليه عليه، أو حمل عار المخالفة والتعايش مع حالة الانكسار النفسي التي تجرها عليه هذه المخالفة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة النحل: 58- 59]، ولنا أنْ نتصور حياة الناس في تلك الفترة من خلال كلام جعفر بن أبي طالب ﷺ أمام النجاشي إذ يقول: (أيها الملك كُنَّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف...)[45]، وهذا الكلام من جعفر ﷺ يوضح حجم الخلاف الفكري بين المشركين ورسول الله ﷺ وما جاء به من تعاليم سماوية تردد صداها إلى ما بعد حدود الجزيرة العربية، كما رأينا من حوار ملك الحبشة مع جعفر ﷺ، ويكون هذا الأمر مثاراً للجدل وشاغلاً لأذهان العرب، وأصبحت الجزيرة العربية لا تتحدث إلا به، ولا تتجادل إلّا فيه ومعه ﷺ، وصار الناس بين حالين:

أ- حال يجرهم إلى البقاء على ما ألفوه من عاداتهم وتقاليدهم، وأُنْسٍ بقديم لا يقدرون على هجره، فأصبحوا للدعوة منكرين، وللنبي ﷺ مجادلين.

ب- وحال يرى أنَّ ما جاء به رسول الله ﷺ هو الحق الذي لا شك فيه، فهو محتار مضطرب بين القديم المألوف والجديد الواضح المعروف[46].

ولم تبدأ المخاصمة لرسول الله ﷺ ومناظرته ومجادلته من قبل المشركين من أول الدعوة الإسلامية، إذْ إنَّهم لم يتعرضوا له ﷺ، وكانت ردَّة فعلهم تجاهه أوَّل الأمر هي الإعراض والنفور، ومع ذلك فالعداوة لم تقع حتَّى بادأهم رسول الله ﷺ بالمناقشة والحوار عندما ذكر آلهتهم، وأثبت بطلان دينهم واعتقادهم بها، ومن هنا كانت بداية إقبالهم على الجدل والمناظرة، إلَّا أنَّهم كانوا أعجز منْ أنْ يجادلوا رسول الله ﷺ، ويدفعوا حجّته أو يفندوا أدلَّته، فلم يكن لهم منْ سلاح سوى الاستهزاء به ﷺ وبدينه، وإغراء السفهاء به، واضطهاده وعزله هو وأهله ومقاطعتهم، ومن ثم تخويفه وطرده ومحاربته[47].

ثانياً- مناظرته وجدله ﷺ لأهل الكتاب:

لم يكن بين رسول الله ﷺ وأهل الكتاب من اليهود والنصارى في مكة جدل وخصام، وإنَّما كانت بداية جدله ومناظراته معهم في المدينة المنورة، بحكم أنَّهم من ساكنيها، والمجاورين للمسلمين فيها، ولمَّا كانوا أهل كتاب ودين سماوي كانت دعوتهم إلى الدين الجديد وتصديقهم بما جاءهم به رسول الله ﷺ أولى من غيرهم، لأنَّهم أعرف من غيرهم بخبر السماء والخالق وأسمائه وصفاته ﷻ، والكون والملائكة والكتب والأنبياء السابقين وصفاتهم وأسمائهم وكيفية إرسالهم، وقد كانوا منْ قبل يبشرون بنبي يأتي في آخر الزمان، يعرفون اسمه ورسمه ودار بعثته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: 157][48]، يقول الشيخ الطبرسي (ت 548هـ) في تفسيره لهذه الآية: (يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوباً في الكتابين)[49]، أي: العهد القديم والجديد، فقد جاء في العهد القديم بشارةٌ بنبي آخر الزمان، وبالتحديد في سفر التثنية وردت هذه العبارة (أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمكم بكل ما أُوصيه به)[50]، ووردت كذلك في سفر التكوين هذه البشارة: (وأمَّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه، وها أنا أُباركه وأُثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمةً كبيرةً)[51]،إلَّا أنَّهم وعلى العكس من ذلك، رفضوه وناصبوه العداء وجادلوه وناظروه لإبطال نبوَّته ﷺ، ولعل دافعهم إلى هذا الجدل والمراء عِدَّة أسباب منها:

أ- اعتقاد اليهود بأنَّ النبوة لا تخرج عن أبناء إسرائيل، بل إنَّ ظهور نبي لا ينتمي لبني إسرائيل ويدعو الناس إلى الله ﷻ وتوحيده وتمجيد إبراهيم وموسى عليهما السلام أمرٌ مستغرب.

ب- غرورهم وتكبرهم واعتقادهم علوَّ منزلتهم عند الله ﷻ، وتفوقهم على باقي البشر، إلى حد تخيلهم وتوهمهم أنَّهم أبناء الله ﷻ وأحبّاءه، وقد أشار القرآن الكريم إلى كذبهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: 18].

ج- إنَّ أتباعه ﷺ كانوا من الذين بينهم وبين اليهود عداوة في الجاهلية، لذلك أضمروا عداوتهم للمسلمين ولرسول الله ﷺ[52].

وكانت موضوعات الجدل والمناظرة مع اليهود تدور حول مسائل محددة منها:

أ- تحريفهم للتوراة التي كتبوها بأيديهم ونسبوها لله ﷻ طمعاً بالحصول على حطام الدنيا، وقد توعدهم الله ﷻ بالويل والعذاب، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: 79].

ب- نقضهم للعهود وخياناتهم، وتلاعبهم بأحكام الله ﷻ التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام وهجرها أو التعامل معها بانتقائية حسب ما تمليه عليهم مصالحهم الدنيوية، كما كانوا يفعلون في مسألة فداء الأسرى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: 85][53].

ج- هجرهم لكتاب الله ﷻ وانقيادهم لأحبارهم الذين كانوا يعبثون بعقولهم بالتزوير والتزييف، ولا يعلمونهم

الأحكام التي نزلت في كتاب الله ﷻ، قال تعالى متوعداً إياهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: 79].

د-أكلهم المال بالباطل، وأخذهم الربا مع تحريمه عليهم، واستحلالهم لمال العرب بزعم أنْ لا سبيل لهم على أهل الكتاب، قال تعالى: (... وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: 75].

هـ- تعصبهم لدينهم، وعدم الإيمان إلا لمنْ كان منْهم، ولو لم يكن الحق معهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ ... ﴾ [سورة آل عمران: 73].

و-حرصهم الشديد على الدنيا، أيَّاً كانت هذه الدنيا ولو كانت دنيا الأسافل، والسعي وراء ملذاتهم وشهواتهم، مع أنَّ أهل الدين ليس هذا دأبهم، بل هم إلى رحمة الله ﷻ ينظرون، وإلى ما عنده يرجون، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: 96].

هذه بعض صفات اليهود وأفعالهم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، بعد أنْ كانت خافية على الناس، التي ولَّدتْ في نفوسهم الحقد والكره للقرآن الكريم ولرسول الله ﷺ، فشكلت دافعاً لهم للمهاترة واللجاج، والخوض في المناظرة والحجاج[54].

أما النصارى فليس أدلُّ على معرفتهم بهذا النبي من موقف النجاشي عندما جاءه كتاب رسول الله ﷺ إذ (أخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه، ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق)[55]، وكلام (قيصر) ملك الروم عندما جاءه دَحية الكلبي بكتاب النبي ﷺ فقال: (يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأنْ يثبِّت لكم ملككم، وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ...)[56].

وبالنسبة إلى جدلهم ومناظراتهم فقد كانت أقل حدَّة، ولم تكن من الكثرة بحيث تذكرها كتب التاريخ بشكل مُفصَّل، وسبب ذلك: أنَّ النصارى لم يكن لهم قرب مكاني بدعوة الإسلام في بدايتها، لا في مكة ولا في المدينة، لذلك فإنَّ اتصالهم بالمسلمين والاحتكاك بهم لم يكن كبيراً، وحيث لا احتكاك فلا خلاف ولا جدال ولا مناظرة إلا فيما ندر.

ومع ندرة المناظرات وقلتها إلا إنَّ أهم الموضوعات التي تناولتها هي:

أ- عقيدة التثليث، فالنصارى يعتقدون بأُلوهية عيسى ﷺ وروح القدس واشتراكهما مع الله ﷻ في هذا المقام، وقد توعدهم الله ﷻ لجرأتهم هذه بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ

وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: 73].

ب- ادِّعائهم أنَّ المسيح وأُمَّه عليهما السلام إلهين، وقد أكَّد عيسى عليه السلام بطلان ادعائهم وكذَّبهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة: 116].

ج- قولهم إنَّ الله ﷻ هو المسيح نفسه، وهذه فريةٌ استعظمها القرآن الكريم إلى حد أنْ وصمهم بالكفر بسببها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة المائدة: 17]، كما أنَّ عيسى عليه السلام فند ادعاءهم بقوله إنَّ الله ﷻ ربَّه كما هو ربُّهم، وحذرهم من مَغبَّة هذا القول، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: 72].

د- دعوى إنَّ المسيح ابن الله ﷻ، قال تعالى: (... وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ... ﴾ [سورة التوبة: 30].

هـ- وكذلك من المواضيع التي وقع البحث فيها مع النصارى دعوى صلب المسيح، التي نفاها القرآن الكريم وكذبها، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [سورة النساء: 157].

والواقع أنَّ اعتراضاتهم وإشكالاتهم على الإسلام لم تكن كبيرة أو كثيرة، ولم تستطع الصمود أمام الدليل والحجة، سواء جاءت هذه الحجة والدليل في القرآن الكريم، أو على شكل مناظرات لرسول الله ﷺ وعلماء الإسلام، لضعف أدلتهم ووهنها، وقوة حجّة الإسلام وبراهينه التي لم تستطع المعتقدات النصرانية أنْ تصمد أمامها(57).

المطلب الثالث:

توسع المناظرات والجدل في البلاد الإسلامية:

لم يكن للجدل على عهد رسول الله ﷺ أساليب واتجاهات وآراء واجتهادات؛ لأنّ القرآن الكريم موجود، وله أساليبه الخاصة في الرد على كل ما يستدعي الرد، فلم يكن هنالك قصور، أو حاجة إلى اجتهاد رأي أو استدعاء فكر من هنا أو هناك، والناس في ذلك الوقت ملتفتون إلى هذا الأمر؛ لأنَّهم عرب ويفهمون خطاب القرآن الكريم وحجاجه وأدلته، يقول الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ): (قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع

أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يُبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلّا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب، دون دقائق طرق المتكلمين)[58]، فضلاً عن وجود رسول الله ﷺ، الذي أغناهم عن البحث في الأدلة وتقصي البراهين؛ لأنّ قوله ﷺ فصلٌ في جواب كل ما يرد من شبه ومغالطات ومشاغبات، فهو صاحب الشريعة، والمُبيّن لها، والمدافع عنها، ولسان الوحي الذي لا يعتريه الخطأ والسهو، قال تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: 44]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: 3- 4]، ولم يَتَّسع الجدل والمناظرة بعد رسول الله ﷺ بشكل كبير، وبقيت الموضوعات التي عالجها المسلمون تنحصر على قدر الحاجة وما تدعو إليه، من تبيان الحقِّ وتثبيته، أو دفع شبهة وهدمها، أو ترجيح دليل على آخر ضمن الاجتهاد الفقهي والأصولي، أمَّا في ميدان العقيدة فإنَّ الجدل والمناظرات لم تقع إلا بشكل محدود وقليل لعدّة أسباب منها:

أ- أنَّ المسلمين في تلك الأيام كانوا قريبي عهد برسول الله ﷺ والشبهات العقدية التي تطرح عليهم لم تصل إلى مرحلة يعجزون عن ردها، ولا هي من القوة والنضج إلى درجة تستفز عقول مفكري تلك الفترة وتحرك أذهانهم لإنتاج أجوبة جديدة.

ب- كان المسلمون في تلك الفترة يعرفون الأدلة نصَّاً ومعنى – الأدلة النقلية – وكانت عندهم طريقة الاستدلال هي بنقل النص مباشرةً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف بلا واسطة فكانت الأدلة واضحة لا شبهة فيها، وبقيت الأجوبة والردود في مناظرات تلك الفترة تدور ضمن الأدلة القرآنية وأحاديث رسول الله ﷺ[59].

وبقيت الأُمّة على ذلك المستوى من الجدل الفكري الذي تناول موضوعات محددة ومعدودة، أبرزها ما تعلّق بشؤون الحكم والخلافة وإمْرَة المؤمنين، وهل تكون بالنص أم بالشورى أم بالتزكية والترشيح أم بالغلبة والقهر...الخ؟ الأمر الذي أدخل الأُمَّة الإسلامية في دوّامة الخلافات والتَحزُّبات، كلٌ يحاول أنْ يؤيد ما يذهب إليه بالأدلة والبراهين التي تعطي شرعيةً لما يتبناه، وتبطل ما يذهب إليه الآخرون[60]، كما حصل في مسألة الخلافة في سقيفة بني ساعدة، ومطالبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بحقه في خلافة رسول الله ﷺ في أكثر من موقف ومناسبة، وتقصير الناس في الوقوف إلى جانبه ونصرته[61]، والجدل الذي وقع بعد استشهاد الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنه، ومسألة الحرب بين الفئتين[62]، ومسألة التحكيم وبروز فرقة الخوارج[63]، وغيرها من الموضوعات التي أثارت الجدل وكثرت فيها السجالات والمناقشات والمناظرات.

أما المسائل الكلامية الأُخرى فلم تجد لها فسحة من التوسع إلا في العصر العباسي، بعد أنْ ازدهرت حركة الترجمة ونقل كتب اليونان وفارس إلى البلاد الإسلامية، وظهور مدارس علم الكلام، فـ (عقدت الندوات، وأُلقيت المحاضرات في مختلف العلوم والفنون، وانتشرت المذاهب الفلسفية، وهَبَّ الصراع الفكري بين دعاة الحق ودعاة الباطل؛ فتَكوَّنتْ من تلك المجادلات الكلامية والآراء الفلسفية ثروة فكرية هائلة)[64]، وتضافرت أسباب متعددة أثرت على المجتمع الإسلامي وخلقت فيه النزعة الجدلية والميل إلى البحث والمناظرة، فجعلت منه مجتمعاً حَيويَّاً

يستقبل الآراء المختلفة، وينظر إليها بعين الباحث والناقد، ويحاول الإجابة عمَّا يرافق هذه القضايا من أسئلة وإشكالات، وحلها وتفكيكها ضمن أصول وضوابط علمية عرفت بين أوساط الدارسين والمتعلمين بـ (آداب البحث والمناظرة)، ومن هذه الأسباب:

أ- اتِّساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول أقوام وملل ونِحَل إلى الإسلام، فشكَّل ذلك تنوعاً ثقافياً وخليطاً من الآراء المتضاربة أو المتناقضة، الأمر الذي ساعد على تصاعد روح الجدل والسعي إلى التناظر.

ب- الاختلاف في فهم النصوص الشرعية؛ ذلك أنَّ النص الشرعي من القرآن الكريم والسنة الشريفة يمتلك مساحة للتوسع في فهم المعنى: فالقرآن الكريم حمّال ذو وجوه كما يقول أمير المؤمنين علي ﷺ في وصيته لابن عباس عندما وجهه إلى الخوارج حيث أوصاه بقوله: ((لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون...))[65]، والسنّة الشريفة رواتها على درجات من الحفظ والفهم والعدالة والوثاقة، كما بيّن حالهم أمير المؤمنين علي ﷺ[66].

ج- انتشار مجالس القصَّاص بين المسلمين في الحواضر الإسلامية، إذ شكلَّ انتشارها دافعاً قويَّاً لبعض العلماء والمتكلمين للتصدي لها ومجابهتها بالحجّة والدليل.

د- شبهات وأكاذيب أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملحدين الذين لم يدّخروا فرصةً أو جهداً للنيل من الإسلام والقرآن وشخص رسول الله ﷺ ، ومحاولات إضعافهم وتهوينهم في نفوس المسلمين.

هـ- اتِّساع دائرة البحث عن كثير من المواضيع، ومنها الغيبيات وعدم الاكتفاء بما جاءت به النصوص الشرعية، ومحاولة بحثها بدليل العقل والبرهان والقياس.

كل هذه الأسباب وغيرها ساعدت على ظهور المناظرات والجدل على الساحة الإسلامية وبقوة، وكانت تغذيها روح اللدد واللجاج والمعاندة والمكابرة والتحزب، وكثير من السلوكيات السيئة التي ترافق هذه المجالس، التي لم يكن القصد من ورائها البحث عن الحقيقة والمجادلة والمناظرة بالأسلوب الحسن والمتحضر[67].

ولم يقف التوسع في ميدان الجدل والمناظرة عند حد معين، ولم يقتصر على موضوعات دون غيرها، وهو في ازدياد مطّرد شمل كل مناحي الحياة، واستوعب كل الآراء والاتجاهات، والتراث الإسلامي حافل -على مرّ التاريخ- بمناظرات دخلت فيها كل الأديان والمذاهب، بل إنها تطرقت إلى اختلافات المذهب الواحد والبحث في أخص خصوصياته.

الخاتمة وأهم النتائج

بعد أن استعرضنا في هذه الدراسة للمحطات التاريخية التي مرَّ بها الجدل الإنساني، منذ نشأته وحتى ازدهاره، يمكننا تلخيص أهم ما ورد فيها من نتائج بنقاط:

1. حالة الجدل والمنازعة والدفاع عن الرأي هي حالة فطرية مركوزة في أعماق النفس الإنسانية، ولا يمكن لأي شخص تجاهلها أو إنكارها، فلكل واحد منَّا دوافعه وميوله التي تدفعه للخوض في الجدال والمناظرة.

2. الجدل قديم قدم الإنسان، ولكن بداياته كعلم له ضوابط وقواعد كان في بلاد اليونان، وأقدم المصادر والمؤلفات فيه جاءتنا من قبلهم.
3. عرف العرب قبل الإسلام الجدل والمناظرة والتنافس في الميدان القولي باستعمال الحجج والبراهين، غير أن تعاطيهم مع فنونه كان يعتمد على فطرتهم وسليقتهم التي فرضتها عليهم طبيعتهم المحيطة بهم، مع تفوقهم في فنون القول من شعر ونثر، فلم تكن عندهم من وسائل التعليم والتدريس كما كانت عند اليونان من قبلهم.
4. دعا القرآن الكريم إلى مجادلة الخصوم ومناظرتهم، بشرط أن يكون هذا الجدل بالبرهان والدليل، ونهى عن القول بغير علم ولا دليل.
5. للقرآن الكريم أساليبه وطرقه في المناظرة والجدل، منها ما كان متعارفاً عند الناس، ومنها ما تميَّز به عن الغير.
6. مارس رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام المناظرة والجدل، وحاوروا خصومهم بالدليل والحجة امتثالاً لأمر الله ﷻ.
7. لم تأخذ المناظرات والمجادلات على عهد رسول الله ﷺ المساحة الكافية للانتشار والتوسع، بحكم وجوده المبارك ﷺ فلم يكن مجال للجدال ورد الحجة بالحجة، وصاحب الشريعة موجود، إذ كان قوله ﷺ فصلاً في كل نزاع أو نقاش أو محاورة.
8. لم تبدأ مرحلة الازدهار لفنون الجدل والمناظرة إلا في العصر العباسي، للبعد النسبي عن عصر النص الشرعي، وظهور المذاهب الفقهية والكلامية، ودعم الخلفاء العباسيين وتأييدهم لهذه المذاهب، وتبنّيهم لآرائهم.

الهوامش:

(1) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم: ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (ت 634هـ): صـ(10– 11)، تحقيق: د. زاهر بن عوّاض الألمعي، (1401هـ)، ط(2). ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: د. عثمان علي حسن: (51/1)، الناشر: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية،(1420هـ– 1999م)، ط(1).

(2) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد. محمد حسين الطباطبائي (ت 1981م): (95/19) الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم– إيران.

(3) ينظر: استخراج الجدل: صـ(10– 11). وعلما المنطق وآداب البحث والمناظرة: سيد علي حيدرة: صـ(17)، الناشر: الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، 2007م، ط(1). ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: (1/ 51– 52). ومناهج الجدل في القرآن الكريم: د. زاهر عوّاض الألمعي: صـ(31)، (1404هـ)، ط(3).

(4) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: صـ(31).

(5) ينظر: تأريخ الجدل: الشيخ. محمد أبو زهرة (ت 1974م): صـ(7)، الناشر: دار الفكر العربي، ط(1).

(6) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت 808هـ): صـ(490)، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، 1438هـ– 2017م، ط(1).

(7) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب شرح المقاصد: مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت 793هـ): (53/1)، تحقيق: الدكتور. عبد الرحمن عميرة، الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (1419هـ– 1998م)، ط(2).

(8) فيثاغورس (ت 495ق.م): فيلسوف يوناني، ولد في ساموس وغادرها هرباً إلى كروتون (جنوب إيطاليا) التي كان له فيها نفوذ سياسي كبير، حيث أسس فيها جماعته المسماة بـ(الفيثاغوريين) والتي كانت تتمحور نشاطاتها في اتجاهين: علمي وديني، وجميع آرائه وأفكاره لم يدونها، بل وصلت إلينا عن طريق تلاميذه الذين يدينون له بالولاء، ذاع صيته وتفوقه في الرياضيات، ونظريته المسماة على اسمه اشهر من أنْ نخوض في شرحها، وله اكتشاف مهم في علم الموسيقى والسلم الموسيقي ينسب إليه. ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري و ج. أو. أرمسون: صـ(238– 239)، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة– مصر، (2013م)، ط(2).

(9) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب شرح المقاصد: (1/ 53).

(10) المصدر نفسه: صـ(53– 54).

(11) ينظر: المصدر نفسه: صـ(54).

(12) ينظر: الحوار في الإسلام: د. عبد الله بن حسين الموجان، صـ(113)، الناشر: مركز الكون، جدّة– المملكة العربية السعودية، (1427هـ– 2006م)، ط(1).

(13) ينظر: المصدر نفسه: صـ(113).

(14) **السوفسطائية:** هي حركة ظهرت في اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي لا تمثل مذهباً فلسفياً كما يتصور البعض، وقد حمل هذا المصطلح العديد من المعاني التي تطورت على مر السنين فبعد أن كان يطلق على محترفي مهنة التعليم والتي ترادف لفظة (الأستاذ) نحى هذا المصطلح إلى المعنى السلبي له والذي يقترن بالتلاعب بالحقائق والتمويهات الجدلية التي تلبس الحق ثوب الباطل والباطل تلبسه ثوب الحق، وهذه الزراية التي أُلصقت بهم كانت بسبب الدعاية الماهرة التي قام بها كل من أفلاطون وأرسطو، وكانت التهمة الموجهة إلى السوفسطاييين أنَّهم كانوا يذيعون تعليم المعرفة ولكن الواقع إنَّهم كانوا يعلمون تلاميذهم فن النجاح في الحياة، وهو أمر أدى إلى التهاون بالقيم العليا. ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: صـ(191).

(15) ينظر: مناهج الجدل في القران الكريم: صـ(35).

(16) ينظر: الحوار في الإسلام: صـ(113).

(17) ينظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت528هـ): صـ(128/2)تخريج: محمد بن فتح الله بدران، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة– مصر، (1375هـ– 1956م)، ط(2). وعلما المنطق وآداب البحث والمناظرة: صـ(17). ومناهج الجدل في القران الكريم: صـ(35– 36).

(18) الطوفي (ت716هـ): هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعد الطوفي الحنبلي، فقيه وعالم، ولد في بغداد سنة (675هـ)، له عدة مؤلفاته منها (الإشارات الإلهية إلى المباحث الأُصولية وعلم الجذل في علم الجدل ومختصر الروضة)، توفي في مدينة الخليل في الأرض المقدسة. ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب علم الجذل في علم الجدل: نجم الدين الطوفي الحنبلي، صـ(يه) وما بعدها، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، الناشر: دار فرانز شتاينر، فيسبادن– المانيا، (1408هـ– 1987م).

(19) المصدر نفسه: صـ(209– 210).

(20) شرح المقاصد، (54/1).

(21) السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك ابن هشام (ت 213 أو 218هـ): (239/1)، علّق عليها وخرّج أحاديثها ووضع فهارسها: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، (1410هـ– 1990م)، ط(3).

(22) الحوار في الإسلام: صـ(114). وتأريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): د. شوقي ضيف، (410/1– 411)، الناشر: دار المعارف، القاهرة– جمهورية مصر العربية، ط(22).

(23) البيان والتبيين: لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، (28/3)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، (1418هـ– 1998م)، ط(7).

(24) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460هـ): (2/ 316– 318)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

(25) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ): (7/ 287– 288)، الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (1427هـ– 2006م)، ط(1).

(26) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: (6/ 481). ومجمع البيان في تفسير القرآن: (6/ 193).

(27) ينظر: المعجزة الكبرى القرآن: الشيخ. محمد أبو زهرة، صـ(393– 394)، الناشر: دار الفكر العربي. وتأريخ الجدل: صـ(60– 61).

(28) موسوعة طبقات الفقهاء (المقدمة): الشيخ. جعفر بن محمد بن حسين السبحاني التبريزي، (209/1– 210)، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم– إيران، (1418هـ)، ط(1).

(29) ينظر: المنطق: الشيخ. محمد رضا المظفر ت(1383هـ): صـ(104)، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، (1432هـ – 2011م)، ط(1).

(30) المصدر نفسه: صـ(107).

(31) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: (4/ 137– 138). والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ)، (9/ 79– 80)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (1427هـ– 2006م)، ط(1). والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (4/ 196– 198)، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، 1434هـ– 2013م، ط1.

(32) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي المصري الشافعي (ت 911هـ)، (55/4)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

(33) ينظر: مناهج الجدل في القران الكريم: صـ(76).

(34) ينظر: المنطق: صـ(244).

(35) المعجزة الكبرى: صـ(397).

(36) ينظر: المعجزة الكبرى: صـ(398). ومناهج الجدل في القرآن الكريم: صـ(76– 77).

(37) ذُكرت عدة أسباب وأغراض لحذف القضية الكبرى في الأُسلوب الخطابي غير الإيجاز والاختصار منها:

- أن القضية الكلية قد لا تصدق على جميع أفرادها، ولذلك يلجئ الخطيب إلى إخفائها في الكلام وعدم ذكرها خشية التفات أحد السامعين إلى كذبها.
- تجنب السرد العلمي المعقد الذي يجده البعض مملّاً، فجمهور السامعين ميّالٌ إلى الطرح البسيط الواضح والممتع، والصياغات العلمية التي تذكر القضايا الكلية والجزئية وتربط بينها ربطاً علمياً بإدخال الجزئية تحت حكم الكلية، وهذا أسلوب يصرف السامعين عن الاهتمام بحديث الخطيب، بل قد يثير شكوكهم نحوه أو السخرية منه.
- وقد يلجئ الخطيب إلى حذف الكبرى خشية التطويل الممل المستغني عن سماعه جمهور السامعين، الذي قد يثير ردود أفعال عكسية تجاه الخطيب تؤثر على مصداقيته. ينظر: المنطق: صـ(367– 368).

(38) ينظر: المعجزة الكبرى: صـ(398).

(39) ينظر: المصدر السابق: صـ(40).

(40) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: (14/ 266– 268).

(41) المعجزة الكبرى: صـ(405).

(42) تأريخ الجدل: صـ(66).

(43) تأريخ الجدل: صـ(65). والمعجزة الكبرى: صـ(399).

(44) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: صـ(80– 87).

(45) الكامل في التأريخ: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير) (تـ 630هـ)، (599/1)، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (1407هـ– 1987م)، طـ(1). وورد كذلك بلفظ قريب في إعلام الورى بأعلام الهدى: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (تـ 548هـ)، صـ(60)، صححه وعلّق عليه: علي أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، (1424هـ– 2004م)، طـ(1).

(46) ينظر: تأريخ الجدل: صـ(41– 42).

(47) المصدر نفسه: صـ(43).

(48) ينظر: المصدر نفسه: صـ(48).

(49) مجمع البيان في تفسير القرآن: (275/4).

(50) الكتاب المقدس (العهد القديم): صـ(231)، سفر التثنية– الإصحاح (18)– العدد (18)، الناشر: دار الكتاب المقدس، القاهرة– مصر، (2017م)، الإصدار العاشر– طـ(1).

(51) المصدر نفسه: صـ (17)، سفر التكوين، الإصحاح 17، العدد 20،

(52) ينظر: تأريخ الجدل: صـ(49).

(53) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: (1/ 335– 337). ومواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، (1/ 437– 439)، الناشر: دار التفسير، قم– إيران، (1431هـ– 2010م)، طـ(5).

(54) ينظر: تأريخ الجدل: صـ(49– 51).

(55) كتاب الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري (تـ 230هـ)، (222/1)، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، (1421هـ– 2001م)، طـ(1).

(56) المصدر نفسه: (223/1).

(57) ينظر: تاريخ الجدل: صـ(53).

(58) الإتقان في علوم القرآن: (52/4).

(59) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: صـ(36).

(60) ينظر: الإمامة والسياسة المعروف بتأريخ الخلفاء: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، (23/1- 25)، تحقيق: أ. علي شيري، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (1410هـ- 1990م)، ط(1). والأحكام السلطانية: لأبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري الماوردي (ت 450هـ)، صـ(21- 24)، تحقيق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (1427هـ- 2006م).

(61) ينظر: الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس): (1/ 206- 207)، تحقيق: الشيخ. إبراهيم البهادري والشيخ. محمد هادي به، إشراف: الشيخ. جعفر السبحاني، الناشر: دار الأُسوة للطباعة والنشر، قم- إيران، 1435هـ، ط(8).

(62) ينظر: وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري (ت 212هـ): صـ(341- 343)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مطبوعات دار الأندلس، بيروت- لبنان، (1431هـ- 2010م)، ط(1).

(63) ينظر: المصدر نفسه: صـ(483).

(64) مناهج الجدل في القرآن الكريم: صـ(36).

(65) نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي (ت 406هـ) من كلام سيّدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: صـ(622- 623)، شرحه: الشيخ. محمد عبده، خرّج مصادره: الشيخ. حسين الاعلمي، الناشر: شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1432هـ- 2011م، ط2.

(66) ينظر: أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت 329/328هـ): (116/1)، باب: اختلاف الحديث- رقم الحديث (1)، ضبطه وصحَّحه وعلَّق عليه: محمد جعفر شمس الدين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، (1430هـ- 2009م)،ط(2).

(67) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم: صـ(37- 38).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: كلام الله ﷻ.

1) الإتقان في علوم القرآن: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بجلال الدين السيوطي المصري الشافعي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.
2) الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس)، تحقيق: الشيخ. إبراهيم البهادري والشيخ. محمد هادي به، إشراف: الشيخ. جعفر السبحاني، الناشر: دار الأُسوة للطباعة والنشر، قم- إيران، 1435هـ، ط(8).
3) الأحكام السلطانية: لأبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري الماوردي (ت 450هـ)، تحقيق: أحمد جاد، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (1427هـ- 2006م).
4) استخراج الجدال من القرآن الكريم: ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي (ت 634هـ)، تحقيق: د. زاهر بن عوّاض الألمعي، 1401هـ، ط2.

5) أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت 329/328هـ)، ضبطه وصحَّحه وعلَّق عليه: محمد جعفر شمس الدين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت– لبنان، (1430هـ– 2009م)،ط(2).
6) إعلام الورى بأعلام الهدى: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، صححه وعلّق عليه: علي أكبر غفاري، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، (1424هـ– 2004م)، ط(1).
7) الإمامة والسياسة المعروف بتأريخ الخلفاء: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق: أ. علي شيري، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (1410هـ– 1990م)، ط(1).
8) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، 1434هـ– 2013م، ط1.
9) البيان والتبيين: لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، (1418هـ– 1998م)، ط(7).
10) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): د. شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف، القاهرة– جمهورية مصر العربية، ط(22).
11) تاريخ الجدل: الشيخ. محمد أبو زهرة (ت 1974م)، الناشر: دار الفكر العربي، ط(1).
12) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.
13) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (1427هـ– 2006م)، ط(1).
14) الحوار في الإسلام: د. عبد الله بن حسين الموجان، الناشر: مركز الكون، جدّة– المملكة العربية السعودية، (1427هـ– 2006م)، ط(1).
15) السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك ابن هشام (ت 213 أو 218هـ)، علَّق عليها وخرّج أحاديثها ووضع فهارسها: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، (1410هـ– 1990م)، ط(3).
16) شرح المقاصد: مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت 793هـ)، تحقيق: الدكتور. عبد الرحمن عميرة، الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، (1419هـ– 1998م)، ط(2).

17) شرح المقاصد: مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني (ت 793هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (1419هـ- 1998م)، ط(2).

18) علم الجذل في علم الجدل: نجم الدين الطوفي الحنبلي، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، الناشر: دار فرانز شتاينر، فيسبادن- المانيا، (1408هـ- 1987م).

19) علما المنطق وآداب البحث والمناظرة: سيد علي حيدرة، الناشر: الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2007م، ط(1).

20) الكامل في التأريخ: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بـ(ابن الأثير) (ت 630هـ)، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1407هـ- 1987م)، ط(1).

21) كتاب الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230هـ)، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، (1421هـ- 2001م)، ط(1).

22) الكتاب المقدس (العهد القديم): الناشر: دار الكتاب المقدس، القاهرة- مصر، (2017م)، الإصدار العاشر- ط(1).

23) مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (1427هـ- 2006م)، ط(1).

24) المعجزة الكبرى القرآن: الشيخ. محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي.

25) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت 808هـ)، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1438هـ- 2017م، ط1.

26) الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت528هـ)، تخريج: محمد بن فتح الله بدران، الناشر: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة- مصر، (1375هـ- 1956م)، ط(2).

27) مناهج الجدل في القرآن الكريم: د. زاهر عوّاض الألمعي، (1404هـ)، ط(3).

28) المنطق: الشيخ. محمد رضا المظفر ت(1383هـ)، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، (1432هـ - 2011م)، ط(1).

29) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: د. عثمان علي حسن، الناشر: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية،(1420هـ- 1999م)، ط(1).

30) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الناشر: دار التفسير، قم- إيران، (1431هـ- 2010م)، ط(5).

31) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري و ج. أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة– مصر، (2013م)، ط(2).
32) موسوعة طبقات الفقهاء: الشيخ. جعفر بن محمد بن حسين السبحاني التبريزي، الناشر: مؤسسة الإمام الصادق ، قم– إيران، (1418هـ)، ط(1).
33) الميزان في تفسير القرآن: السيد. محمد حسين الطباطبائي (ت 1981م)، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم– إيران.
34) نهج البلاغة: مجموع ما اختاره الشريف الرضي (ت 406هـ) من كلام سيّدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرحه: الشيخ. محمد عبده، خرّج مصادره: الشيخ. حسين الاعلمي، الناشر: شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، 1432هـ– 2011م، ط2.
35) وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري (ت 212هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مطبوعات دار الأندلس، بيروت– لبنان، (1431هـ– 2010م)، ط(1).